قواعد الإملاء العربي

نظرات في غابرها وحاضرها

الدكتور عمر الدقاق

من المقولات المعهودة أن «الكلام هو التفكير جهراً، وأن التفكير هو التكلّم سرّاً». غير أن الكلمة المكتوبة، خلافاً للكلمة المنطوقة هي حافظة الأفكار ووعاء المشاعر ومستودع المعارف. والكتاب، تبعاً لذلك عصارة العقول وزبدة القرائح وحاضنة التراث ومرآة الحضارات. وليس بوسعنا أن نتخيّل وجود حضارة ذات شأن دون كتابة وكتاب .

في البدء كانت الكلمة، فكانت معها المعرفة. ولعلّ اختراع التصاوير ثمّ الحروف الأبجدية رموزاً للكلام وإيجاد الكتابة من أعظم ماأنجزته البشرية، إنْ لم يكن أعظمها عبر العصور .

ويتجلّى فضل الكتابة في كون الله أنزل تعاليمه على رسله لهداية البشر، وجعلها في كتب مسطورة. وهكذا أنزلت الكتب السماوية الأربعة، كما أنزلت الصحف من الألواح على الأنبياء والرسل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن عظمة الإسلام أن الله تعالى ابتدأ وحيه وافتتح كلامه بآيةٍ قرآنية رائدة أرستْ فضل القراءة والكتابة في الحياة، فقال في قرآنه العظيم: «اقرأ باسم ربك..». كما قال مشيداً بأداة الكتابة: «الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم». ثم زاد تعالى ذلك تأكيداً وإجلالاً بأن أقسم بالقلم وما يسطر به من كلمات وعبارات، فقال:﴿ ن، والقلم، وما يسطرون﴾. «والإقسام لايقع منه سبحانه إلاّ بشريف ماأبدع، وكريم مااخترع، كالشمس والقمر والنجوم..»[1].وفي ذلك يقول الشاعر:

كفى قلمَ الكتّابِ عزّاً ورفعةً مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

ثم بيّن الله شرف الكتابة بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال[2]: «وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين». ومما قاله الرسول ﷺ في هذا الصدد[3]: «قيّدوا العلم بالكتاب». وبصدد الكلامْ المنطوق والكلام المكتوب قالوا قديماً[4]: «الخط أفضل من اللفظ، لأن اللفظ يُفهِم الحاضرَ فقط، والخط يُفهِم الحاضر والغائب».

على أن تقييد الكلام بالكتابة لم يتم في فجر الإسلام على النحو المنشود، إذ لم يحظَ موضوع الإملاء ورسم الحروف والكلمات من العناية والاهتمام بالقدر الذي حظيت به علوم العربية، ولاسيما النحو والصرف. ومع ذلك عُنيَ بعض أئمة السلف بهذا الموضوع وكانت لهم فيه جهود حسنة، وفي طليعتهم الخليل بن أحمد وسيبويه وابن قتيبة والأخفش وابن درستويه وابن جنّي وعبد الله بن محمد البطليوسي[5]...

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس، أحمد بن علي، المقدمة ١: ٣٥، ٤٥، طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي. القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١٠.

(٣) صبح الأعشى ١: ٣٦.

(٤) صبح الأعشى ٣: ٢.

(٥) ورد ذلك في كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة، و «كتاب الكتاب» لابن درستويه، و «سر صناعة الإعراب» لابن جنّي، ثم «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة» للبطليوسي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويكاد يجمع المؤلفون العرب قديماً على أن الكتابة العربية حديثة عهد في حياة الناس، وتتحدث مصادرهم عن أناس بعينهم نقلوا الكتابة إلى قومهم، وذلك قبيل ظهور الإسلام[١]. وقد ذكر الواقدي «أن الكتابة العربية كانت قليلة في الأوس والخزرج، فجاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون»، ثم أخذ يعددهم[٢] . فالعرب في ظلّ نظامهم القبلي وغلبة الترحل عليهم، لم يكونوا أمة كتابة، على حين كانوا أمة فصاحة، وقد برعوا في الشعر، واشتهروا بالخطابة، وكانوا ينطقون في ذلك كله بديهة وارتجالاً .

ثم كان لابد من الاعتماد على الكتابة ونشرها لتكون مواكبة للنقلة الحضارية الجديدة في الإسلام. غير أن الكتابة عهدئذ كانت في طور أوّلي، قوامه حروف بسيطة مجردة تفتقر إلى التمييز بين بعض أشكالها المتشابهة، كما تفتقر إلى علامات أو رموز لضبط الكلمة، توسلاً إلى صواب النطق بها. وهكذا، ودفعاً للالتباس والخطأ في نطق آيات القرآن كان لابد من إدخال إصلاح في الرسم يعصم المسلمين، ولاسيما الذين هم من غير العرب، من الزلل في التلاوة. وكان أن تمّت الخطوة الأولى في تطوير رسم الكلمات، في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، أو في بدء عهد الخليفة معاوية، حين ارتأى أبو الأسود الدؤلي تشكيل كلمات القرآن بوضع نقطة فوق الحرف، أو تحته، أو بين يديه، دلالة على الحركات الثلاث، وذلك بصبغ مغاير للمداد المعهود.

أما الطور الثاني المهم الذي عرفته الكتابة العربية فقد حدث في إبان العهد الأموي أيام الخليفة عبد الملك، وبفضل مبادرة من واليه الحجاج، حين

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب «صبح الأعشى» ٣: ١٠– ١١.

(٢) صبح الأعشى ٣: ١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خطا نصر بن عاصم خطوة أخرى واسعة في هذا المجال فقام بترتيب حروف الهجاء في زمر متجانسة متسقة «ب ت ث»، «ج ح خ»، «د ذ» إلخ ... وهو الترتيب الأشهر الذي شاع وغدا متداولاً حتى أيامنا هذه. وكان من أبرز ما صنعه نصر بن عاصم هو ما عرف يومئذ بالإعجام، أي نقط الحروف.

وحين جاء الخليل بن أحمد في مستهل عهد بني العباس عمدَ إلى إلغاء تشكيل أبي الأسود القائم على النقط، وأحلّ محله الحركات وجعلها رموزاً ملحقة بالحرف، فوضع خطاً مائلاً صغيراً مستمَداً من الألف دلالة على الفتحة فوق الحرف، كما وضع هذا الخط تحت الحرف دلالة على الكسرة، ورمَزَ للسكون بما يشبه حلقة صغيرة مغلقة. كذلك أوجد رموزاً أخرى هامة مثل الشدة والمدّة والهمزة وهمزة الوصل ... وبذلك سُدّت ثغرات كبيرة في حروف الهجاء، وبلغت الكتابة عهدئذ مستوى حسناً من التطور، ونعمت بالاستقرار عبر العصور.

* * *

وليس بوسع باحث أن يتناول أياً من معارف العرب وعلوم العربية بمعزل عن كتاب الله الكريم، فهو منطلق العلوم الركين، وفيه تتجلى ريادة حركة التدوين المباركة.

وتحتفظ لنا كتب التراث بوثيقة بالغة الأهمية، برغم عدم إمكان الجزم بصحتها، وهي الخطاب الذي بعث به النبي ﷺ إلى المقوقس، عظيم القبط في مصر، وهو خطاب وجيز يقع في اثني عشر سطراً. وأهمية هذا الخطاب علمية لغوية فضلاً عن أهميته الدينية والتاريخية، فهو كلمات مجردة من النقط والشكل. وهو مكتوب بالخط المقور أو المستدير[1]، وقد أطلق على

(١) قصة الكتابة العربية، إبراهيم جمعة ٢٧، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٤٧.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رسمه بعدئذ الخط الكوفي[١]. وبهذا الخط الكوفي كُتب المصحف الإمام، بفضل الخليفة عثمان بن عفان، وتمت بذلك كتابة المصاحف الستة[٢] الأولى في الإسلام. «وظلّت المصاحف تكتب بالخط الكوفي زهاء أربعة قرون. ثم حلّ محلها في كتابتها خط جميل رائق ابتدعه الأتابكة في الموصل وشمال الشام وكتبوا به المصاحف، وهو خط النسخ»[٣]. وخلال القرن الخامس انحسر الخط الكوفي عن كتابة المصاحف وحلّت محله الخطوط اللينة الشامية[٤].

ولا ريب في أن مبادرة أبي الأسود الدؤلي الرائدة في تشكيل كلمات المصحف الشريف تنطوي في رأينا على قدر من الجرأة. لأن صحابة الرسول والمسلمين الأوائل كانوا يتهيبون أيّ تعديل في المصحف الإمام. وبالإضافة إلى ذلك ساد أذهان العرب أن الشكل غير مستحبّ، والكاتب يُعاب على ذلك، وهو دليل سوء الظن بالقارئ. قال أبو عمرو الداني: «وقد وردت الكراهة بنقط المصاحف عن عبد الله بن عمر»[٥].

غير أن للضرورة أحكاماً، فقد خشي المسلمون بحق على القرآن الكريم من اللحن والتصحيف لخلوّه من الشكل، بنتيجة انتشار الإسلام في البلاد وتكاثر المسلمين الذين لا يحفظون الكثير من آيات التنزيل، وكان ما كان من المبادرات المعروفة في إصلاح الكتابة. ونستنتج من ذلك أن سبب

---

(١) المعروف أن بناء الكوفة تم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب خلال سنتي ١٨ ـ ٢٠هـ.

(٢) أرسل الخليفة عثمان مصاحفه المعتمدة إلى كل من مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام، واحتفظ لنفسه بالمصحف الأول الذي يعرف بالإمام.

(٣) قصة الكتابة العربية ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) المرجع السابق ٥٣.

(٥) صبح الأعشى، القلقشندي ٣: ١٥٦. طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٨.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تأصيل الكتابة العربية والحرص على تقعيدها هو نفسه سبب نشوء النحو العربي والرغبة في وضع قواعد لكلام العرب. وفي كلا الحالين كان المنطلق واحداً وهو الغيرة على القرآن الكريم والحرص على سلامته من التحريف والتصحيف والنطق الخاطئ.

وحين بلغت الكتابة هذا المدى من الصحة والسلامة انعطف الكَتَبَة إلى تحسين الخط العربي والتفنن في أنماطه، والاهتمام بجمالياته، وكانت عنايتهم بتجويد كتابة المصاحف بالغة أوجها(١)، وامتدت إلى الزخرفة العمرانية في المساجد والدور والقصور.

وحين تم رسم المصحف على هذا النحو من الصحة والجمال بدا لعلماء العربية عهدئذ أن طرق الكتابة وقواعد الإملاء السائدة قد استقرت، فلم يبد بعد ذلك ما يستدعي على نحو جاد وملحّ تعديل رسم الكلمات وتطويرها. وظلت قضايا عديدة لم تحسم مثل قضية كتابة الهمزة والألف المقصورة والممدودة وسواها. والأقدمون أنفسهم لم يتلاقوا ويتفقوا على مذهب أو ما يشبه المذهب، ففي رأي سيبويه أن الهمزة المتوسطة المضمومة بعد كسر تكتب واواً، باعتبار حركتها، ومذهب الأخفش أنها تكتب ياء باعتبار حركة ما قبلها(٢)، ولعلّ المراد من ذلك كلمات مثل مئون ويستهزئون..

(١) نبغ العديدون من الخطاطين في الدولة العباسية، في مقدمتهم الوزير أبو علي محمد بن مقلة في بغداد في القرن الثالث للهجرة «٣٢٨هـ» وأخوه عبد الله اللذان برعا في خط النسخ وكتابة المصاحف النفيسة، وبعد قرن من الزمان تطور الخط العربي وازداد جمالاً بفضل أبي الحسن المعروف بابن البوّاب «٤١٣هـ». وفي عهد الدولة العثمانية بلغ الخط العربي ذروته من الإتقان، ففي القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي – نبغ في الخط العربي عثمان الحافظ المشهور، كاتب المصحف الشريف، وإليه انتهت جودة الخط إلى أرفع مستوى.

(٢) دليل الكاتب، حسن شهاب أحد أساتذة الأزهر، ٨٦ ـ ٨٧، مصر ١٩٠٩.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكما هو معهود كان لأهل الحجاز في بعض هذه القضايا مذهب، ولأهل نجد مذهب آخر. كذلك كانت لعلماء البصرة والكوفة آراء متباينة على هذا الصعيد. وقد سرى هذا الوضع المضطرب إلى كلمات بعينها في الرسم القرآني. وفي ذلك يقول عثمان بن جنّي(١): «اعلمْ أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة. وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء مرة أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف. ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال. وعلى هذا وجدت في بعض المصاحف (يستهزأون) بالألف قبل الواو، ووجد فيها أيضاً (وإنْ من شيأ إلاّ يسبح بحمده) بالألف بعد الياء ..»، وذكر صاحب صبح الأعشى أنه «حذفت الألف في بعض المصاحف من هاروت وماروت وهامان وقارون فكتبت على هذه الصورة: هروت ومروت وقرون ..»(٢).

كذلك نبّه عبد الله البطليوسي صاحب كتاب «الاقتضاب» على ذلك فقال(٣): «اضطربت آراء الكتّاب والنحويين في الهجاء، ولم يلتزموا فيه القياس، فزادوا في مواضع حروفاً خشية اللبس نحو واو عمرو وألف مائة ..» .

وقد نقل القلقشندي جملة من هذه الآراء المختلفة، ومن هذا القبيل قوله(٤): «تزاد الألف بعد الميم في مائة فرقاً بينها وبين منه، ثم اختلف في المثنى منه فقيل: لا يزاد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس، ولا لبس في التثنية ..». وذكر ابن درستويه(٥) أن القدماء كتبوها (مأة). وفي ذلك يقول

(١) سر صناعة الإعراب ١: ١١٧.
(٢) صبح الأعشى ٣: ١٨٥.
(٣) انظر: الكتابة العربية، محمد شوقي أمين، ٢٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.
(٤) صبح الأعشى، ٣: ١٧٥ دار الكتب الوطنية، القاهرة ١٩٣٨.
(٥) انظر «كتاب الكتاب»، بعناية لويس شيخو ٤٧، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٧.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيضاً أثير الدين أبو حيان(١): «وكثيراً ما أكتب أنا (مئة) بغير ألف، كما تكتب فئة لأن كتابة مائة بالألف خارج عن القياس». وقد أخذ بهذا الرأي كثير من اللغويين المعاصرين ومنهم الشيخ مصطفى الغلاييني(٢) ..

كل ذلك يعني استمرار الخلاف بين الأقدمين في موضوع قواعد الإملاء كما هو الحال في سائر علوم العربية.

ومن الإنصاف القول: إن الباحثين المعاصرين ولا سيما المجامع اللغوية والمؤسسات التعليمية فاقوا الأقدمين باهتمامهم بقواعد الإملاء، يحفزهم إلى ذلك حب عارم للعربية وغيرة كبرى على مستقبلها. فمنهم من تطرف واقترح حلولاً جذرية باترة مثل عبد العزيز فهمي داعية الكتابة بالحروف اللاتينية، ومنهم من اعتدل مثل علي الجارم الذي اقترح مشروعاً آخر قوامه إلصاق الحركات بجسم الحروف. وثمة آخرون كانت لبعضهم آراء سديدة وقيمة في هذا الصدد، منهم محمد شوقي أمين(٣) وحسن شهاب(٤) وعبد السلام محمد هارون(٥) ومصطفى الغلاييني(٦) وعمر يحيى وأسعد طلس ولطفي الصقال(٧) وعبد العليم إبراهيم محمد(٨)، فضلاً عن كتب كثيرة

(١) صبح الأعشى ٣: ١٧٦.

(٢) انظر: جامع الدروس العربية ٢: ١٤٣، بيروت ١٩٣٩.

(٣) كتابه «الكتابة العربية»، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٤) كتابه «دليل الكاتب»، مصر ١٩٠٩.

(٥) كتابه «قواعد الإملاء»، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٦.

(٦) كتابه «جامع الدروس العربية»،بيروت ١٩٣٩.

(٧) كتابهم «تسهيل الإملاء»، حلب ١٩٣٨.

(٨) بحثه المخطوط الذي قدمه لمؤتمر المعلمين العرب التاسع الذي انعقد في الخرطوم في ١٩– ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٧٦ وعنوانه «توحيد الرسم الإملائي».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

خصّت هذا الموضوع بعنايتها، وهي في معظمها معدّة للتعليم في المدارس[1].

وكما كانت كتابة الهمزة ورسم الألف، والزيادة أو الحذف في بعض الحروف، شغل القدماء، كان ذلك أيضاً شغل الباحثين المعاصرين. وتعدّ جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة ذروة هذا الاهتمام، فقد تمخض مؤتمره الذي انعقد في عام ١٩٤٣ ومن بعده المؤتمر الآخر عام ١٩٦٠ عن حصيلة ثرية من البحوث والدراسات والمناقشات والمداولات ثم التوصيات في هذا الصدد. وقد أفاد جيل المتعلمين من ذلك فائدة حسنة. ومع ذلك مازالت ثمة اختلافات كثيرة في رسم الحروف بين أقطار المشرق وأقطار المغرب، بل إن ذلك ملموس بين بلاد المشرق نفسها، وأيضاً داخل البلد الواحد. فإذا استقرينا آراء عدد وافر من المعلمين والمؤلفين وأساتذة الجامعات وأيضاً من أعضاء المجامع اللغوية في صدد كتابة كلمات مثل: يقرؤون، رؤوس، رُئي، يعبؤون، سموءل، لؤلئي، ذرا، ييأس، جيئة، شيء، لجاءت أجوبتهم متباينة ورسوم كلماتهم مختلفة، وهم معذورون في ذلك إلى حد بعيد، مادام اللغويون القدامى وأصحاب المعاجم أنفسهم[2] يختلفون في هذا الصدد، كما أنهم معذورون أيضاً في ظلّ غياب القرار اللغوي الحاسم الذي يناط عادة بالمجامع اللغوية العربية.

وإذا كانت هذه حال الشريحة المستنيرة، فماذا يكون حال التلاميذ

---

(١) من هذه الكتب التعليمية أيضاً في قواعد الإملاء ماألفه محمد هاشم دويدري ووجيهة السطل، ثم عبد القادر مايو.. إلخ .

(٢) ثمة كلمات مثل: ضحى، ذرا وردت في القاموس المحيط بالألف، وفي المصباح المنير ومختار الصحاح والمعجم الوسيط بالياء.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والطلاب وناشئة المتعلمين وسائر المقبلين على تعلم العربية في بلدان العالم ومعاهده من اليابان والصين إلى أوربة وأميركا.

وأكثر ما يقع الإعضال في رسم الهمزة ورسم الألف، فلنقصر الكلام عليهما.

الهمزة:

الهمزة موضوع مهم في علوم العربية(١)، سواء في اللغة أو النحو أو الإملاء. وتشكل في كثير من الأحوال معضلة كبرى ولا سيما في مجال الإملاء، كما حار في أمرها القدماء والمعاصرون(٢)، ولعلّ ابن درستويه أبرز من تناولوا الهمزة من وجهة الرسم والإملاء قديماً في كتابه الوجيز(٣) «كتاب الكتّاب».

ورغبة في التبسيط والتيسير في رسم الهمزة يجدر استبعاد قضية الوصل والفصل بين الحروف، لأنها تتحكم في القاعدة الأصلية وتشطرها شطرين حين تكتب مثلاً «يهزءون ويعبئون»، فنطق الهمزة هنا واحد وحالتها مشتركة، واختلاف الرسم حادث بسبب طبيعة رسم الحرف الواقع قبل الهمزة والذي بعدها من حيث اتصاله أو عدمه بكل من الحرفين لدى وقوع الهمزة بينهما، وليس لهذا الاختلاف مسوغ.

وسنحاول حلّ جوانب من إعضال الهمزة المتوسطة بقدر من الأسس

---

(١) خصّ العرب قديماً الهمزة بكتب عديدة تعرف بكتب الهمز، وممن ألفوا فيها قطرب «٢٠٦هـ» وأبو زيد الأنصاري «٢١٥هـ»، وكتاباهما في الكلمات المهموزة.

(٢) حاد الخليل عن الهمزة، ولم يشأ البدء بها في معجمه «العين» لعدم وجود صورة حرف لها.

(٣) «كتاب الكتاب» لابن درستويه «٣٤٦هـ» صدر عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ بعناية الأب لويس شيخو.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والقاعدات، وبمنأى عن التفريعات والاستثناءات جهد المستطاع، وذلك وفق مايلي:

أ.)– الهمزة المتوسطة تكتب بالحرف الذي تسهّل إليه، مثل: ثأر، شؤم، ذئب، مؤاخذة، مئة، إئت، مؤق. مقابل: ثار، شوم، ذيب، مواخذة، مية، إيت، موق...

ب.)– الهمزة المضمومة تكتب فوق الحرف المجانس لها، أي على الواو إطلاقاً «دون المفاضلة بين حركتها وحركة ما قبلها، ودون اعتبار لاتصال الحرف أو انفصاله بما قبلها وما بعدها» مثل: شؤون، يعبؤون، رؤوف، مسؤول، يقرؤون، جاؤوا، رداؤه، مِؤون، ضوؤه، شيؤه ..، وذلك في مقابل: شئون، يعبئون أو يعبأون، رءوف، مسئول، يقرءون أو يقرأون، جاءوا، مئون، ضوءه، شيئه..

ج.)– الهمزة المفتوحة والمسبوقة بسكون، تكتب على حسب الحرف المجانس لها، أي فوق الألف إطلاقاً (دون النظر إلى جملة من القاعدات الفرعية). فوفقاً للقاعدة الأساسية كتبت الهمزة المسبوقة بحرف ساكن: يسأل، ثم المسبوقة بألف ساكنة: يتساءل، ثم المسبوقة بواو ساكنة: توءم، ثم المسبوقة بياء ساكنة: بيئة[1] والرأي أنها جميعاً يمكن أن تكتب باطراد: يسأل، مسألة، نشأة، مرأة، ينأى، ظمأى.

وكذلك قرأأة، يتساأل، إيماأة، وعاأان، إنشاأات.

وبوسعنا أن نكتب أيضاً هكذا: توأم، سموأل، سوأة، ثم مروأة، نبوأة، مملوأة.

(١) اعتمد المجمع اللغوي في القاهرة هذه القاعدات الفرعية في مؤتمره سنة ١٩٦٠، وقد أخذت بها أكثر الكتب التعليمية.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأيضاً: مهترأة، مستهزأة، ثم ييأس، ثم خطيأة، خُطيأة، بيأة، مشيأة، دريأة، مليأة، جريأة..إلخ .

د.)– الهمزة المفتوحة «المرسومة على ألف» إذا وليها حرف منطوق من جنسها نرى أن تضاف إليها ألف أخرى بعدها، دون أن تدغم، فنكتب مايلي: مأال، قرأان، مرأاة، ظمأان، ملجأان، مكافأات، إجراأات. وكذلك: ينشأان، يقرأان، يلجأان، يملأان، منشأات. وذلك محافظة على صورة الكلمات الأولى، وبما يتفق مع ما ارتضاه أيضاً بعض القدماء. على حين تعمد قواعد الإملاء السائدة إلى التفريق بين الفعل والاسم، أي بين ألف المثنى: ملجآن، وألف الاثنين: يلجأان، برغم أن بنية الحروف والحركات واحدة.

الألف:

تحفل لغة العرب بالكلمات المنتهية بألف، ولها صورتان في الكتابة: ألف وياء، (ياء غير منقوطة أو ألف مقصورة). وللقدماء والمعاصرين في هذا الصدد بحوث كثيرة واجتهادات وفيرة. فعلى صعيد الأفعال الثلاثية فحسب لدينا مثلاً: دعا وسعى، ومن الأسماء عصا وفتى. يضاف إلى ذلك جموع مثل قنا، وذرا، ونوى، ومُنى.. كما أن كتابة الفعل يحيا غير كتابة الاسم يحيى..

ومعلوم أن النطق لا مجال له هنا في تحديد الرسم فهو واحد، ولكن المعوّل عليه هو معرفة أصل الألف في اللغة أو التصريف، أي أن علينا، قبل أن نكتب الكلمة، أن نتوصل إلى أن ألف عصا أصلها واو وأن مثناها عصوان، كذلك أن ندرك سلفاً أن أصل ألف فتى ياء لأن مثناها فَتيان. وهذا حال ذرا لأن مفردها ذروة، ومنى لأن مفردها مُنْية. وواضح أن هذا باب عسير على المختصين بالعربية فما بالنا لدى الناشئ والمتعلّم.

وإنه من دواعي الارتياح والرضى «أن جمهرة من أعلام العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأقدمين قد ارتضوا كتابة الألف اللينة ألفاً بصورة مطلقة دون مراعاة أصلها في الكلمة، أو التفرقة بين كونها ثالثة أو غير ثالثة، وبين كونها في اسم أو فعل أو حرف»[(١)] . وحقّ ما ذهب إليه محمد شوقي أمين حين قال محبذاً هذا المذهب: «وكان ارتضاؤهم ذلك تعويلاً على أن الخط صورة النطق. وليس على الخط أن يتعدى مهمة التصوير إلى مهمة الدلالة على الأصول الصرفية للصيغ في مساق الكلام»[(٢)].

فإذا كان الأمر كذلك على هذا النحو من التيسير لدى الأجداد، ومعه العسر في الاهتداء إلى الأصل الواوي أو اليائي في كل كلمة بعينها، فلماذا لا نأخذ بالأيسر، ولا سيما أنه يتفق مع الأساس الذي وجدت من أجله الكتابة، وهو أن تطابق صورة المكتوب الكلامَ المنطوق.

وعلى ذلك ما الذي يمنع أن تتم كتابة الكلمات المنتهية بألف ملفوظة، ألفاً على الإطلاق. وذلك دون تمييز بين ثلاثي وغيره، وبين واوي ويائي، وبين اسم وفعل.. وبين عربي أصيل وأعجمي دخيل...

وثمة واقع مهم آخر يرجح هذا المنحى وهو أن حرف الألف المكتوب هو الأولى في تصوير الصوت المنطوق وليس الياء، إذ لكل واحد منهما موقعه الخاص به الذي وضع له أصلاً، ولكل صوتٍ منطوق حرف مكتوب. ومما يسبب اللبس ويزيد الأمر اضطراباً أن جلّ الكاتبين وقدراً كبيراً من الكتب والمنشورات، ولا سيما في مصر لا تميز في الكتابة بين الألف المقصورة والياء. فاسم العلم «علي» يكتب مثل حرف الجر «على» ، ويغدو الأمر أكثر صعوبة حين لا تتبين حقيقة الكلمة المكتوبة من السياق بالسهولة

(١) الكتابة العربية، محمد شوقي أمين ٢٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٢) الكتابة العربية ٢٥.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعهودة مثل: بهَدْي وبهُدَى، وذلك تبعاً لغياب نقط الياء. وثمة مؤلَّف نفيس للفيلسوف الفارابي اسمه «كتاب الموسيقى الكبير» كما هو متوّج في عنوانه البارز، وقد حرصت على معرفة حقيقية هذا العنوان من ذوي العلم وأهل الاختصاص للوصول إلى النطق المراد لكلمة الموسيقى، فتعددت الآراء، ولم أفز بجواب شافٍ.

ويبدو لنا في ضوء ماتقدم أن المذهب الواحد أو الموحد في رسم الألفات المنطوقة يخلصنا من قاعدات واستثناءات تنطوي على قدر من الرهق والإرباك والاضطراب. ونحن نلمس تخبّط الكاتبين في ذلك لقصور معارفهم اللغوية والإملائية في هذا الصدد، ولأن علماء اللغة والصرف أنفسهم مختلفون في هذا الشأن. وهكذا غدت الكتابة في أحيان كثيرة ذات طابع مزاجي وتفتقر إلى قدر كبير من الجدّ والالتزام.

والرأي أن نكتب الكلمات المعنية جميعاً على هذا النسق: فتا، هدا، نها، دجا، عُلا، ضحا، ربا، ذرا، منا. ومثلها: عيسا، يحيا، نجوا، حبلا، سلوا، سلما، ومعها تكتب أيضاً: مرتضا، مصطفا، مستشفا ومثلها: موسيقا، بخارا، ألمانيا، سوريا..

ومن منطلق الحرص على الاطراد وتوحيد الرسم قد يكون افتراضنا الآخر أكثر تقبلاً في النفوس بداعي الألفة، وهو أن تكتب الكلمات جميعاً بألف مقصورة، ومنها الثلاثية بطبيعة الحال، وإن كان هذا المذهب أقلّ منطقية، لمغايرته مبدأ تطابق المنطوق والمكتوب.

الحذف والإضافة، في بعض الحروف:

أسرف الأجداد، وفيهم كَتَبة الوحي، في اختصار الكلام المكتوب. ولعلّ ذلك كان منهم اقتصاداً للجهد والوقت. وكأنهم لم يكتفوا بتغييب الحروف الصائته من الرسم الإملائي (الذي يقتصر على كتابة الحروف الصامتة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وحدها ويستعيض عن ذلك بالحركات الثلاث بدلاً منها). وكان أكثر ما يكون الحذف لديهم عندما يتكرر الحرف في الكلمة، فيحذفونه عند الكتابة. وقد استلزم هذا الاختصار، المخل أحياناً، مبادرة حسنة بعدئذ، حين عمد الخليل الفراهيدي إلى تلافي ماقد ينجم عن هذا المنحى من قصور أو لبس في النطق، فأوجد رسم (شدة) فوق الحرف الباقي دلالة على الحرف الآخر أي المكرر الذي تم حذفه، رامزاً إلى ذلك بحرف (ش) مصغر: (سـ) أو رأس ش.

وثمة سبب آخر لتغييب الحرف المكرر عند الكَتبة الأقدمين مرده إلى اعتبارات جمالية تتصل بحسن الخط لا بطريقة الرسم والإملاء، إذ إن تكرار الحرف في الكلمة المكتوبة غير مستحب عندهم. وفي ذلك يقول ابن درستويه[١] : «اعلم أن أكثر ما يحذف في الكتاب الحروف المكررة ، كراهة اجتماع الأشباه في الخط...».

أ): ويرى ابن درستويه أيضاً «أن أكثر حروف اللين حذفاً الألف لضعفها، وأنها أكثر في الكلام من غيرها»[٢] . وقد تدارك الأقدمون هذا الأمر بعدئذ بوضع المدّات على الحروف المعنية تيسيراً للقراء، وهذا كثير في كتابة المصاحف[٣] . ويبدو أن تأثير هذه المصاحف كان الأقوى في هذا الصدد، إذ درج الكاتبون عبر العصور على هذا المنحى. ودليل ذلك كلمات عديدة تتصل بالدين والعقيدة والتراث سرت من المصحف إلى أقلام الكاتبين مثل: الله، الإله، بسم الله، الرحمن، السموات، إسمعيل، إبراهيم، طه، هرون، داود..

ثم توسعوا في هذا القبيل بكلمات أخرى مشابهة، فحذفوا الألف من ها التنبيه في هذا، وهذان، وهؤلاء، وهأنذا، وهأنتم..

---

(١) «كتاب الكتّاب» ٣٤.

(٢) «كتاب الكتّاب» ٣٤.

(٣) من الأمثلة البارزة على ذلك سورة «الشمس».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كذلك حذفوا الألف من ابن، وابنة بشروط عديدة، وشبيه بهذا حذف ألف أداة النداء: يأيها، وحذف الألف المنطوقة في «لكن»..

وإذا كان الزائد أخا الناقص، كما يقال، فإن نقص الألف من كلمة (إله، أو إلهة) قد أحدث مشكلة نطقية تماثل المشكلة التي أحدثتها زيادة الألف على كلمة (مائة). ولطالما حدث الخلط بين كلمة (إلهة) المفردة وكلمة (آلهة) المجموعة، إذ دأب الناس على أن يلفظوا الأولى على نحو خاطئ بإضافة ألف بعد همزة القطع كأن يقولوا: (فينوس آلهة الجمال..). ولا يستقيم الأمر بطبيعة الحال إلا باعتماد مبدأ مطابقة المكتوب للمنطوق، أي إثبات الألف للكلمة في صيغة الإفراد بحيث تكون لها صورتها وفقاً لما تنطق به في الكلام (إلاهة)، على حين لكلمة الجمع صورتها المغايرة (آلهة).

ب): أما الواو فأمرها أهون وتقتصر على حذف الواو الثانية من «داوود»، وقد وردت في المصاحف «داود». وتعليل اللغويين قديماً لذلك هو كراهة التكرار. وقد سرى ذلك على هذا الغرار إلى كلمة طاووس وكلمة أو كلمتين أخريين في العربية، واضعين لها قاعدة خاصة.

كل هذه الكلمات تغاير في رسمها مبدأ مطابقة المكتوب للمنطوق. والقياس إثبات الألف أو الواو في الكلمات المذكورة. وهذا ما سبق أن آثره لفيف من العلماء والدارسين، في طليعتهم طه حسين، حين ارتأى إثبات الألف إطلاقاً وابتدأ بكتابة اسمه «طاها».

وأكثر الناس اليوم يكتبون بعضاً من الكلمات السابقة بسليقة سليمة وحس منطقي، مثل السماوات، إسماعيل، هارون، داوود. وبعضهم بدأ يكتب على هذه الصورة: هاذا، لاكن..

كذلك أحسن بعضهم في كتابة «أن، لا» مفصولتين لا مدغمتين: (أرى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن لا تغامر..)، وفي هذا أيضاً دفع للالتباس مع أداة الحصر أو الاستثناء «إلا»..

والأصوب ترك الحذف في كل ماتقدم باستثناء كلمتين هما «الله»، «باسم». والأخيرة تقتصر على وجودها مركبة فقط في قولنا «بسم الله الرحمن الرحيم» لقدسيتها(١).

ج): وفي مقابل الحذف ثمة كلمات أقل عدداً درج الكاتبون على إلحاق واو زائدة بها غير منطوقة، مثل: عمرو تمييزاً لها عن عمر، وأولو وأولات الملحقين بالجمع السالم.. ثم أولاء، وذلك بقصد تمييزها عن الاسم الموصول المشابه لها في الرسم وهو الاسم الموصول «الألى» بمعنى الذين.

ولعل أبرز أمثلة الإضافة زيادة ألف في رسم العدد: مائة تمييزاً لها قديماً عن «منه»(٢) قبل مرحلة إصلاح الكتابة ونقطها..

إن حجة إضافة حرف غير منطوق للتفريق بين كلمة وكلمة أخرى تشبهها أو تماثلها في الكتابة حجة واهية وغير مقنعة، إذ التشابه والتماثل واقعان في كلامٍ كثير في العربية، وهو معهود في سائر اللغات، وإذا كان له مسوغ قديماً في كلمتي: مائة وعمرو مثلاً فلماذا نتمسك بهذا الرسم مع وجود الشكل؟. ولماذا لم يتم التفريق في الرسم بين أسماء أخرى تنطوي أيضاً على اللبس، مثل عَبيد وعُبيد، أو حَسَن وحُسْن، أو عَقيل وعُقَيل... أليس الشكل هو الذي يميز بينها؟ وأي مسوّغ أصلاً لحذف الألف المنطوقة في كلمة (لكن). ثم هل كراهة توالي واوين في كلمة أو كليمات مثل داوود، وطاووس أمر عسير يثقل قلم كاتبه ويحتاج إلى قاعدة بحالها؟.

---

(١) كثير من الباحثين قديماً وحديثاً لم يشترطوا حذف الألف في غير هذا الموقع، في مثل: باسم الوطن، باسم الحاضرين..

(٢) صبح الأعشى ٣: ١٧٦.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وواقع الأمر أنه نجمت مشكلة أسوأ من حيث كان القصد حل مشكلة سالفة. فكثير من الناس اليوم يلفظون الواو في عمرو، ومعظمهم، وهم معذورون في ذلك، لايعرفون قاعدتها الخاصة بها. أما «مائة» التي مازال الكثيرون يكتبونها بالألف بحكم العادة أو عن جهل في معظم الأحيان، فالبلاء فيها أعظم، إذ راحوا ينطقون الألف بقولهم: «ماءة وماءتان وسبعماءة..» وهذا نطق قبيح يتكرر كل يوم على الألسنة. ومعلوم أن القدماء حصروا الزيادة في المئة المفردة وحدها لوقوع اللبس فيها، وتركوا القاعدة تسري عليها مثناة ومركبة مع آحاد الأعداد: مئتان، سبعمئة، مئات..

ورأينا أن تشطب صورة «مائة» شطباً باتاً من كتاباتنا، وأن تكتب كأمثالها: فئة ورئة..

والأفضل، وفق ما ارتأيناه في تضاعيف هذا البحث، أن تكتب الكلمة على حسب نطقها أي أن تكتب «مأة». وقد ذكر الغلاييني أنه «من الفضلاء من يكتبها بياء بلا ألف (مئة)، ومنهم من يكتبها بألف بلا ياء هكذا: (مأة)»[١]. وما دامت الأوجه المتعددة مستعملة ومقبولة لدى بعضهم، فلماذا لا نؤثر الرسم الأكثر اطراداً والمطابق لطبيعة النطق؟.

ومجمل القول:

إن الهدف الأصلي لقواعد الرسم الإملائي، إنما هو تصوير اللفظ المنطوق تصويراً خطياً دقيقاً يعصم القارئ من الخطأ في النطق، أو الانحراف به عن وجهه الصحيح، وييسر له أن يعيد الكلمة صحيحة كما نطق بها قبل كتابتها. والأصل الذي ينبغي اعتماده أن تكتب الكلمات على حسب النطق بها، فلا يحذف حرف ينطق به، ولا يكتب حرف لا ينطق به[٢].

(١) جامع الدروس العربية ٢: ١٤٣، بيروت ١٩٣٩.

(٢) من السابقين إلى هذا الرأي في العصر الحديث الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه «جامع الدروس العربية» ثم علي الجارم في مشروع تيسير الكتابة العربية الذي قدمه إلى المجمع اللغوي بالقاهرة سنة ١٩٤٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الأهداف التربوية والاجتماعية والقومية أن لا نثقل على المتعلمين، صغاراً وكباراً، مواطنين وأجانب، بركام من القاعدات الكثيرة التي تتناقض أحياناً فيما بينها، أو يتداخل بعضها في بعض، أو تتعدد فيها التفريعات والاستثناءات. وعلينا أن نحد من إباحة الشذوذ في كلمات بعينها بسبب غياب القياس عنها.

* * *

وبين يديّ جملة من المقترحات لا تعدو أن تكون وجهة نظر تتركز فيما يلي:

١– إن قواعد الإملاء المنشودة ينبغي أن توضع بمعزل عن الرسم القرآني، وهو رسم له شخصيته المتفردة وقداسته الدينية، وهالته التاريخية. ومع ذلك لا يقاس عليه في رأي المتقدمين والمتأخرين. ومعلوم أيضاً أن القرآن نزل على النبي ﷺ منطوقاً، لا مكتوباً. والذين دونوا آياته بشر، وفي بدء تطور الكتابة العربية. والمصحف نفسه من حيث طريقة الكتابة ونوع الخط تعرّض للتحسين خلال أطوار عديدة وأعوام مديدة، كما أن رسم كلماته وحروفه الراهنة ليست هي ماكانت عليه في نسخة المصحف الإمام.

٢– أن يراعى في محاولة التطوير المنشود لقواعد الإملاء العربية مبدأ المحافظة- جهد المستطاع - على صورة الكلمة في حالتها الأصلية، أي المفردة، وذلك بقصد المزيد من التبسيط والتيسير على صغار المتعلمين، حتى لا تهتز لديهم صورة الكلمة الأولى في حال طروء زيادة أو نقصان عليها (كأن نكتب: يقرأ، يقرأون. أو ملجأ، ملجأان. أوعبء ، عبءان) وذلك على غرار «اللواحق» التي تضاف إلى الكلمات اللاتينية والأوربية suffixe .

٣– إن الأسس الوطيدة: القياس والشمول والاطراد، لابد أن تكون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رائدنا الحقيقي في مهمة التطوير والإصلاح المنشودة. ونحن نلاحظ أن ثمة قاعدات مقبولة في الذهن، ولكنها لا تلبث أن تُخترق باستثناء أو شذوذ أو نحوهما، بحيث تكاد القاعدة تفرغ من مضمونها وتفقد شموليتها.

٤- كذلك لابد من الحد من ظاهرة جواز الوجهين دون مسوّغ حقيقي، وكأنما نحرص على إرضاء هؤلاء وأولئك، فنقبل مثلاً كتابة يعبؤون ويعبئون، وذرا وذرى، وموسيقا وموسيقى.. ففي ازدواجية المعايير شر مستطير.

٥- ينبغي أن نوطن أنفسنا على مغايرة ماألفناه، وهذا أمر يشق على النفوس، والعصفور السجين قد يألف قيده ويؤثر البقاء في القفص إذا طال عليه الأمد داخله، ومن قبلُ أعرب عن ذلك المتنبي بأنه لو قدّر له أن يفارق شيبه لبكاه أسى وتوجعاً. فهل يتقبل سدنة اللغة عندنا أن يكتبوا كلمات ما على حسب نطقها: هاذا، لاكنّ، فتا، بيأة...؟ خلافاً لما تعودوا وألفوا..

* * *

إن اللغة العربية لغة كتاب مقدس ودين حنيف، ولغة أذان وصلاة، كما أنها وعاء حضارة عريقة وتراث حافل. وهي أيضاً الرابطة القومية لأمة عربية ناهضة تسعى إلى إيجاد مكانها اللائق في خضم هذا العالم المزدحم وهذا العصر المتفجر. وعلى أمتنا أن تدخل القرن الحادي والعشرين بثبات، في غمار التحديات الكبرى التي تواجهها وتعوق انطلاقها. وإن أول ما ينبغي عمله في حدود اختصاصنا ونطاق اهتمامنا السعي الجاد والحثيث لتطوير نحونا وصرفنا وقواعد إملائنا، بحيث يتاح لأبنائنا ولسائر الراغبين في تعلم لغتنا مزيد من اليسر في فهم معانيها وإدراك أسرارها وتذوق جمالها.

إن جهود المجامع اللغوية في هذا الصدد قيمة ومحمودة، ولا سيما ما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان منها في أول الأربعينات وبدء الستينيات[١]. غير أن جوانب من قضايا الإملاء الملحة لم تستطع حسمها فبقيت معلقة وأرجئ بتها. كما أن توصيات أخرى ذات شأن لم يتح لها أن تنفذ وتتداول في الأوساط التعليمية.

إن المجامع اللغوية هي المؤسسة الوحيدة المؤهلة لهذه المهمة، مهمة الحفاظ على اللغة وتطوير أدائها. والمراد منها اليوم في حدود طاقتها:

أ)– المزيد من المبادرات في هذا الصدد، واستئناف ما انقطع من جهود الباحثين والدارسين من ذوي الاختصاص.

ب)– إعادة النظر في توصيات المؤتمرات السابقة ورفدها بالتوصيات اللاحقة وما استجد من آراء وأفكار بعد ذلك.

ج)– ضرورة التحلي بقدر أكبر من الجرأة، والدأب على ضرورة التغيير، فالتراث جليل ولكنه غير مقدس، وجهود السلف محمودة ولكنها ليست نهائية. كما أنه ليس على الأحفاد أن يدوروا كثيراً في فلك الأجداد.

د) – إن الحلول كما تعودنا لا تسير في طرق معبدة، فالدراسات والتوصيات بين جدران مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وسواهما لاتكفي إذا لم يقترن العمل بالنظر. وهذا يتطلب توصيات مدروسة يتبناها مؤتمر المجامع اللغوية، ويتبعها جهد حثيث مع الجهات الرسمية ولا سيما الأوساط التعليمية، لتخرج المقترحات إلى النور، وتغدو في مواقع التنفيذ والتطبيق في الكتب الدراسية وسائر الدوريات والمنشورات.

وبعد، فإن كثيراً مما ورد في هذه الصفحات لا يعد جديداً، ومعظمه

---

(١) مؤتمرات، مجمع القاهرة اللغوي عام ١٩٤٣ ثم ١٩٦٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مستمد من كتب السالفين ودراسات المعاصرين، وقد سقت ذلك في إطار ممارسة مديدة للعربية وآدابها في مراحل تعليمية متعددة تتيح لي أن أدلي بدلو بين الدلاء وأزج برأي في خضم الآراء. وإذا لم يكن لي فيما أوردت سوى التذكير والتنبيه فهذا حسبي. وإني أعمل بما أعتقد أنه ذو جدوى، مهتدياً بقول القائل: «قل كلمتك وامشِ..».

وعسى ألا تكون كلماتي وكلمات أمثالي صيحة في واد أو تذهب أدراج الرياح. والله الموفق.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net